المحاضرة التاسعة

الدولة الموحدية

التاريخ السياسي للموحدين :

يعتبر محمد بن تومرت أول أسس للدعوة الموحدية وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب [1] ، ويكنى بأبي عبد الله ويلقب بالمهدي [2] ، وقد ارتحل إلى المشرق للتبحر في العلم فعاد إلى المغرب فقيها عالما وفي طريق عودته بدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي المهدية التقى بعبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي [3] الذي أصبح تابعا وفيا له ولما وصل إلى بلاد المصامدة كثر أتباعه وبايعوه [4] .

وقد ذكر ابن أبي زرع بعض محامده بقوله : ((وكان مع ذلك عالما فقيها، راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حافظا له، عارفا بالأصول ، عالما في علم الاعتقاد والجدل، فصيح اللسان، مقداما على الأمور العظام، متيقظا في أحواله ضابطا لما يلي من سلطانه)) [5] .

غير أن ابن أبي زرع يستدرك قوله بان المهدي كان ذا سياسة مكر ودهاء ويسترسل في وصفه بنقل بعض الصفات الذميمة حيث يقول : ((سفاكا للدماء، غير متورع فيها ولا متوقف عنها، يهون عليه سفك دم عالم من الناس في هوى نفسه وبلوغ غرضه... ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم

---

[1] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 126 .

[2] مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص 103 .

[3] عن سيرة عبد المؤمن بن علي وبيعته وحروبه وأيام حكمه انظر: ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 205 وما بعدها .

[4] المصدر السابق ، ص ص 173 – 177 .

[5] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 181 .

وتحيل على جُهّال المصامدة حتى بايعوه)) [6] ، وذاك ما يتوافق مع مع رأي الفقيه ابن قيم الجوزية – رحمه الله – حيث قال عن مهدي المغاربة انه رجل كذاب وظالم متغلب بالباطل ملك بالظلم والتحيل فقتل النفوس ، وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم ، واخذ أموالهم ، وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ، وكان يضع أصحابه في القبور ليكلموا الناس بأنه المهدي الذي بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يردمهم ليلا لئلا يكذبوه بعد ذلك [7] ، كما ويتوافق ذلك مع رأي شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في المهدي بن تومرت الذي قال فيه انه اظهر لأتباعه أنواعا من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين فصار يجيئ إلى المقابر يدفن بها أقواما ويكلمهم ويشهدوا بمهدويته وان من تبعه افلح ومن خالفه خسر ، كما جعل يوما سماه الفرقان (التمييز) قتل فيه ما قتل ، واستحل أموال الناس [8].

في سنة 515هـ شرع المهدي بن تومرت في حرب المرابطين ودخل معهم في عدة معارك غير انه توفي سنة 524 هـ فواصل المهمة من بعده عبد المؤمن بن علي [9] ، الذي استطاع اجتياح المدينة تلوى الأخرى إلى أن دخل عاصمة المرابطين مراكش وقضى على ملكهم سنة 541 هـ وشرع بعد ذلك في إخضاع بقية مناطق المغرب والأندلس فضم الأندلس سنة 545 هـ ثم اخضع المغرب الأوسط فالأدنى ولم تحل

---

[6] نفسه .

[7] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تحقيق : يحي بن عبد الله الثمالي ، ط 1 ، دار علم الفوائد ، مكة المكرمة ، 1428 هـ ، ص ص 153 – 154 .

8 ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم و ابنه محمد ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، 1415هـ ، مجلد 11 ، ص ص 476 – 478 .

9 أورد أبو بكر بن علي الصنهاجي (المكنى بالبيذق) حروب ابن تومرت مع المرابطين مفصلة كونه رفيقه ومؤرخه ، للاستزادة انظر : البيذق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص 35 وما بعدها .

سنة 547 هـ حتى صارت له اليد الطولى على كافة بلاد المغرب ، أما الأندلس فدخلت طاعته سنة 556 هـ ، لينتقل في ذات السنة لقتال النصارى في الأندلس غير انه مرض ثم توفي سنة 558 هـ .[10]

خلفه اكبر أبنائه وهو محمد غير انه عزل بعد 45 يوما لأمور أُخذت عليه ، ليتولى بعد ذلك الخلافة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [11] ويواجه ثورة جبال غمارة سنة 562 هـ ثم يخمدها بنفسه ، وفي سنة 575 هـ ثار ابن الطويل في قفصة فسار إليه وحاصره ، كما واجه هذا الخليفة الثائر ابن مردنيش المتحالف مع النصارى في الأندلس وانتصر الموحدون في مرسية ، وبعد ذلك واصل يوسف بن عبد المؤمن حروبه في الأندلس إلى أن أُصيب بسهم مسموم عند أسوار شنترين واستشهد سنة 580 هـ .[12]

خلفه ابنه المنصور [13] (أبو يوسف يعقوب بن يوسف) وتركزت جهوده في القضاء على ثورة بنو غانية التي كان هدفها بعث الحكم المرابطي ، (580 – 631 هـ) ورغم أن ابن غانية هلك سنة 584 هـ إلا أن أخاه يحي بن إسحاق واصل الثورة ، كما عبر المنصور إلى الأندلس سنة 585 هـ فقاتل وسبى وغنم ولما رجع إلى المغرب عاود النصارى الهجوم على المسلمين [14] ، فجاهدهم من جديد وانتصر عليهم في

---

[10] عبد العزيز شهي : المرجع السابق ، ص 79 .

[11] عن أخبار هذا الخليفة انظر : ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، (قسم الموحدين) ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ج 5 ، ص 83 وما بعدها .

[12] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 797 – 801 .

[13] ذكر الزركشي مادة خبرية عن هذا الخليفة ، انظر : الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، ط 2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص ص 15 – 16 .

[14] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 804 – 805 .

معركة الأرك سنة 591 هـ بقيادة الفونسو الثامن ، هذه المعركة [15] التي أوقفت زحف النصارى وأعادت للمسلمين هيبتهم وتوفي المنصور سنة 595 هـ .[16]

تولى الخلافة ابنه أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله [17] وتمت مبايعته غير انه واجه عدة ثورات حيث قاتل بنو غانية من جديد ، كما ظهر بالمهدية ثائر اسمه محمد بن عبد الكريم الركراكي الذي قتله بنو غانية سنة 599 هـ ، كما ثار أهل غمارة 595 هـ فأخمدها ، وثار رجل بالسوس يدعى ابن الجزارة في سنة 597 هـ وانتصر على حامية الموحدين هناك لكنهم انتصروا عليه بعد ذلك وقتلوه [18] ، غير أن اكبر نكسة تعرض لها الموحدون في عهد الناصر لدين الله هي هزيمتهم في معركة حصن العقاب في الأندلس سنة 609 هـ [19] حيث مرّغ النصارى بقيادة الفونسو الثامن انف الموحدين في التراب وتسمى هذه الوقيعة عند النصارى بـ لاس نافاس دي تولوسا (اسم أودية) ، وكانت معركة العقاب بداية النهاية للموحدين [20] .

انكسرت شوكة الموحدين بعد العقاب وتولى الحكم خلفاء (أبو يعقوب يوسف الثاني (المنتصر) 611 – 620 هـ / أبو محمد عبد الواحد (المخلوع) 620 – 621 هـ / أبو محمد عبد الله (العادل) 621 – 624 هـ / أبو زكريا يحي (المعتصم) 624 – 626 هـ / أبو العلاء إدريس (المأمون) 626 – 630 هـ / أبو محمد عبد الواحد (الرشيد) 630 – 640 هـ / أبو الحسن علي السعيد (المعتضد) 640 – 646 هـ / أبو

---

[15] عن تفاصيل غزوة الأرك انظر: ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 220 وما بعدها .

[16] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 80 .

[17] عن أخبار هذا الخليفة وبقية خلفاء الموحدين انظر: الزركشي : المصدر السابق ، ص 17 وما بعدها .

[18] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 816 – 819 .

[19] أورد ابن عذاري والسلاوي أخبارا عن هذه الوقعة المشؤومة . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 5 قسم الموحدين ، ص 263 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 196 – 200 .

[20] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ص 723 – 724 .

حفص عمر (المرتضى) 646 – 665 هـ / أبو العلاء إدريس الثاني (أبو دبوس) 665 – 668 هـ) [21] لم يستطيعوا إعادة الدولة إلى سابق عهدها وزادت خلافاتهم العائلية وكثرت عليهم الثورات وزاد تحرش النصارى بملكهم في الأندلس وانفصل الحفصيون بالمغرب الأدنى والزيانيون (بنو عبد الواد) بالمغرب الأوسط وبنو نصر في الأندلس إلى أن ظهر المرينيون وقضوا على حكم الموحدين سنة 668 هـ [22] .

التاريخ الحضاري للموحدين :

لم تكن دولة الموحدين كسابقتها المرابطية إذ لم تعترف بالخلافة العباسية بل ونصبت نفسها دولة الخلافة هي الأخرى ، وكان الخليفة يستعين بجهاز إداري لحكم دولته المترامية الأطراف من طرابلس شرق إلى الأندلس حيث شكلت الوزارة احد أهم تلك الأجهزة الإدارية كما استعان الخليفة بجهاز الكتابة ، وكذا الحجابة ، وأمراء الأقاليم (الولاة) ناهيك عن جهازي البريد والشرطة والقضاء وغيرها [23] .

أما عن الحياة الاقتصادية فقد شهد القطاع الزراعي تطورا وغزارة وتنوعا في الإنتاج وذلك لتوفر المصادر المائية خاصة الأنهار (ملوية ، سبو ، أم الربيع ، شلف ...) والأودية و تنوع المناخات لشساعة الدولة ، ووجود طاقة بشرية هائلة عاملة في القطاع ، ناهيك عن تشجيع الخلفاء الموحدين للزراعة ومن أهم المحاصيل القمح والشعير والذرة والقطن وقصب السكر والزيتون والكتان والحناء والكمون والمختلف أنواع الخضراوات والفواكه كما تنوعت الثروة الحيوانية للدولة لاختلاف السطح والمناخ .

---

[21] عن أخبار ملوك الموحدين بعد العقاب انظر : السلاوي : المصدر السابق، ج 2 ، ص 202 وما بعدها .

[22] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 80 .

[23] حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس – عصر المرابطين والموحدين - ، ط 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 ، ص ص 55 ، 96 ، 113 ، 123 ، 129 ، 149 ، 153 ، 156 .

كما كان النشاط الصناعي متنوعا ونشيطا كصناعة النسيج والسفن والزجاج والتعدين ودبغ الجلود والسلاح ومن أشهر الأقطاب الصناعية الموحدية فاس ومراكش وسبتة وطنجة ومناطق السوس ، أما عن التجارة فقد شاركت في دفع عجلة الاقتصاد وقد عمل الخلفاء الموحدون على توفير سبل الإقامة للتجار فبنوا الفنادق كما فعل المنصور الموحدي وغيره وقد ساعد تنوع الطرق على تطور الحركة التجارية كالبحار والأنهار والطرق البرية وكذا تنوع المحاصيل والمنتوجات المتاجر بها ، ومن أشهر المراكز التجارية الموحدية مراكش ، فاس ، مكناس ، تادلا ، أغمات ، وغيرها وعن التجارة الخارجية فقد ارتبط الموحدون بالمراكز التجارية الدولية آنذاك بعدة طرق برية حيث وصلت القوافل إلى النيجر والسنغال وغانة ، كما ارتبط الموحدون بالمشرق وذلك بطريقين بريين أولهما بمحاذاة الساحل والآخر في الداخل هذا بصرف النظر عن الموانئ المغربية التي كانت تستقطب أو تصدر مختلف البضائع والمنتوجات [24]

أما عن الحياة العلمية فقد ازدهرت العلوم والمعارف في العهد الموحدي وكثرت معاهد التعليم وتنوعت مناهج التدريس وأساليبه كما تنوعت المجامع العلمية من مجامع للخلفاء ومجامع للأمراء كما تنوعت العلوم في الغرب الإسلامي الموحدي فقه وتاريخ وآداب وتفسير وهندسة وتنجيم ومنطق وكيمياء وطب وصيدلة ناهيك عن مختلف الفنون ، وكثير من المخلفات العمرانية كالقصور (قصر أبي بكر بن زهر في مراكش ، قصر السيد أبي الربيع بمراكش ، قبة السيد أبي حفص بمراكش ، دار العادل بالرباط ، قصر أبي العباس بسلا ، قصر عبد المؤمن بالأندلس ، قصر السيد أبي يحي بن يوسف خارج قرطبة قصري السيد بغرناطة

[24] حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص ص 232 وما بعدها .

ومالقة) ومباني الموحدين بمراكش القديمة والجديدة [25] ، وكثير المنشات الحربية والأسوار وعدد من المساجد التي شيدها الموحدون مثل جامع الموحدين برباط تازة ، وجامع الكتبية بمراكش ، وجامع القصبة بمراكش ، وجامع حسان بالرباط ، وجامع الأندلس بفاس وجامع القصبة الكبير باشبيلية [26] .

[25] للاسترسال في معرفة الحركة العلمية في العهد الموحدين انظر محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ط 2 ، دار المغرب ، الرباط ، 1977 .

[26] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 838 وما بعدها .